مقياس : مناهج البحث السنة الجامعية : 2021/2020

أستاذ المقياس : د حابل ندير مستوى : السنة الأولى ماستر غربية

المنهج الجدلي / الدياليكتيك

مدخل : يقتضي الحديث عن الجدل / الدياليكتيك Dialectique تصور طرفين مختلفين يديران حواراً منطلقه اختلاف الرأي ، نكون هنا أمام حوار Dialogue ةنجد أن التقارب اللساني واضح من الجانب الاشتقاقي باعتبار الحوار في اللسان الفرنسي جذر لغوي في الديالكتيك ، ولكن هذا الأخير يتميز بكونه ليس حواراً هادئا بقدر ما يعتبر نقاشا فكريا حاداً يعتمد كل طرف فيه على جملة من الحجج التي يتأسس عليها موقفه (القضية التي يدافع عنها) ، وهذا ما يحيلنا إلى مفهوم مفتاحي هو المحاججة / الحجاج L'argumentation .

لقد تطور الجدل عبر حقب التفكير الفلسفي منذ الفلسفات القديمة والاغريقية بشكل خاص وانتقل إلى العصور الحديثة والمعاصرة ليصبح عنوانا لإشكاليات كبرى ، ما يهمنا في هذا المقام هو الدياليكتيك كمنهج ، وعليه لا بد من صياغة جملة من التساؤلات التي تعتبر مفاتيح تحليل هذا النوع من المناهج خاصة وأنه يعتبر من المنطلقات الأولى للتفكير الفلسفي :

ما مفهوم الدياليكتيك كمنهج ؟ وما تطبيقاته في مباحث الفكر الفلسفي ؟ و هل استفادت الحقول المعرفية الأخرى من الدياليكتيك كمنهج فلسفي ؟

الدياليكتيك (المفهوم والتشكلات) :

من الصعوبة بمكان تقديم كرونولوجيا مفصلة لرحلة المفهوم وتشكلاته منذ البدء إلى الراهن ولكن لابأس من الوقوف على جملة من النقاط التي تعتبر ضرورية من أجل الوقوف على إيتيمولوجيا المفهوم وعلاقاتها بممارساته كمنهج إضافة إلى المحطات الحاسمة في تاريخيته .

مفهوم الجدل :

يحيل الجدل في إحدى معانيه اللسانية العربية إلى الصرع أو القضاء على ... ،ولهذا كانت الخصومة وطلب الغلبة هما سمتا للجدل " يعني الجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها و معنى جادلت الرجل أي غلبته وانتصرت عليه .... فهو يعني شدة الخصومة ومقابلة الحجة بالحجة "[1] ، وهذا يؤكد أيضا الاختلاف بين الجدل والحوار العادي

يعود أصل مصطلح الدياليكتيك إلى الجذر اليوناني Techné Dialktike ، وهي مأخوذة من كلمة Dialegesthia بمعنى يحاور ، وهي أصلا فن الحوار[2].

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة / مصر ، ص 571 .

[2]- ميخائيل إنوود ، معجم مصطلحات هيجل ، ترجمة وتقديم : إمام عبد الفتاح إمام ، المشروع القومي للترجمة / المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، دت ، ص 162 .

يقصد بالدياليكتيك كمنهج :

تلك الآليات التي تحرك حوار تبادلي بين أفكار مختلفة تصل إلى حد التناقض حول مسائل مختلفة ، ومن أهم أسسه الاستناد إلى بنية حجاجية واحترام الطابع التبادلي للحجج .

كرونولوجيا المنهج الدياليكتيكي :

يعتبر الجدل سمة الفكر الإنساني منذ بداياته التي يصعب تحديدها ، لسنا هنا بصدد التأريخ للجد ولكن هناك محطات لافته لا بد من الإشارة إليها تحديدا في الفكر الإغريقي باعتبار الضرورات المنهجية تقتضي الحديث عن تشكلات الدياليكتيك كمنهج في السياق الغربي .

إن العودة لتاريخ الفكر الإغريقي تبين أن الجدل في الفلسفة القديمة يرتبط بزينون الإيلي واعتباره كمؤسس للجدل نظرا لبراهينه المباشرة على استحالة الحركة وتوظيفه لحجج تبين عبث وتناقض الافتراضات التي تقول بوجود الحركة [3] ، في الفلسفة الإغريقية دوما نجد فكرة هيروقليدس وفكرة الصيرورة وصراع الأضداد والتحول التي تعد خلفية مؤسسة للجدل باعتبار التحول يكون من حال إلى حال والصيرورة تتضمن دوما صراع بين مختلفين يسعى كل مختلف اثبات حقيقة ما ، إذا ارتقى هذا الصراع إلى المستوى الفكري نسميه جدلا .

بشكل عام هناك خلفيات فكرية مختلفة للدياليكتيك أهمها ثنائية المحسوس والمجرد / الفكر والمادة التي انبنت عليها الفلسفة الغربية وتفرعت عنها ثنائيات شتى تحت عناوين مختلفة ولازمتها إلى أزمنتها الحديثة ، هذه الثنائيات التي هي في الأصل ثنائيات دياليكتيكية كون المدافعين عنها يسعون إلى التأسيس لها حجاجيا وهنا يصبح الدياليكتيك عنوانا لأية محاججة مهما كانت .

نجد الدياليكتيك منهجا في محاورات سقراط التهكمية التوليدية التي جاءت على لسان أفلاطون والتي وصفت أنها هدامة كون سقراط كان يستهدف هدم اعتقاد ما لدى الخصم المحاور[4] .

إلا أن الجدل الأفلاطوني كان إيجابيا كونه كان يستهدف بناء حقيقة ما عند الخصم المحاور وقد كان أفلاطون في معظم محاوراته يسعى إلى التأسيس لعالم المثل كعالم للحقيقة المطلقة الخالدة وكأساس ومنبع لكل القيم ، وقد استخدم الجدل الصاعد ارتقاءً من المادي المحسوس إلى العقلي المجرد والنازل

ويتخذ الدياليكتيك السوفسطائي معنى مشوهاً في تاريخ الفلسفة نظرا للفكرة الشائعة المغلوطة التي تعتبر السوفسطائيين يعلمون الناس الوهم اعتمادا على البلاغة والاحتيال العقلي في حين أن الاتجاه السوفسطائي كان أول من أعاد الاعتبار للذات الإنسانية باعتبارها أساس إنساني ،

---

[3]- المرجع والمكان نفسه .

[4]- المرجع والمكان نفسه .

إضافة لكونهم قدموا درسا ديناميكيا على المستوى المنهجي في فن المناظرة والمحاججة بغض النظر عن صلاحية الأفكار من عدمها كمعيار.

تستمر رحلة الديالكتيك في العصر الحديث : **مع كانط** الذي اتخذ من الديالكتيك السابق موقفا سلبيا عندما اعتبره **منطق الوهم** لأنه تجاهل معطيات التجربة الحسية وكان يهدف فقط إلى استخراج الحقائق الصورية دون الاعتراف بما تتيحه التجربة من إمكانات ، ولكن المفارقة تكمن في اعتماد كانط على الديالكتيك الترنسندنتالي كبديل نقدي عن الديالكتيك الصوري .

الديالكتيك الهيجلي : يتأسس ديالكتيك هيجل على محطات ثلاث :

مرحلة الفهم : وفيها يتم تصور المقولات / المفاهيم على أنها ثابتة ومحددة ودقيقة وتمييزها عن الأخرى . هي ما سماها الدارسون بالقضية

مرحلة الجدل / مرحلة العقل أو الجدل السلبي / أو صراع الأضداد : وفيها تظهر تناقضات واختلافات بين المقولات والمفاهيم ، وغالبا ما تتسم هذه المرحلة بصراع الأضداد ، وهي ما سماه الدارسون بنقيض القضية .

مرحلة العقل النظري / الجدل الموجب : وفيها تظهر مقولة جديدة هي أعلى من المقولتين السابقتين وتسمى نتيجة الجدل التي تتحد فيها الأضداد ، وهو ما سماه الدارسون بالتركيب .

الفكرة الرئيسة من الديالكيتيك الهيجلي والتي تعبر عنها المحطات السابقة : أن الأشياء تنطلق من **الوجود (التصور)** إلى **العدم** (السلب) إلى **الصيرورة** (الإيجاب والتحول)

- طبق هيجل الجدل في المنطق وفلسفة الحق والأخلاق والدولة وفي تصوراته لحركة التاريخ ومختلف تصوراته الفلسفية .
- تعتبر الروح مصدر الجدل ، لأن من طبيعة الروح أنها تنقسم على نفسها وتخلق من الانقسام تناقضات هي التي تحرك الجدل ، ثم تعود هذه الروح لتخلق الاتفاق مرة أخرى ويكون هذا الاتفاق روحيا نهائيا .
- ويميز هيجل بين الجدل الباطني الذي يعني التصورات والأفكار التي تعبر عن التناقضات الداخلية للإنسان وهذه التصورات لا تتطور إلى مقولات إلا إذا كانت هذه التناقضات التي تعتبر حوارا بين العقل وذاته ، والجدل الخارجي الذي يكون بين الأطراف وهو نوع يتوجه نحو تطور الأشياء والأحداث ، ويفضل هيجل الجدل الباطني لأنه يعتبر تطور الأفكار هو الذي يحرك تطور الأشياء .
- ويعتبر الديالكتيك أصل حركة التاريخ والفكر ، فهو الذي يغير الفكر و العالم
- يتميز الديالكتيك الهيجلي بأنه روحي مثالي .

ماركس و الدياليكتيك المادي : يرفض ماركس المثالية الهيجلية التي ترى أن الفكر محرك للأشياء والعالم ، ويرى أن المادة سابقة عن الوعي وهي التي تحرك العالم ولهذا طبق الدياليكتيك المادي على التاريخ الإنساني ، وبهذا قلب ماركس الإنسان وجعله يمشي على رجليه بعدما كان مع هيجل يمشي على رأسه .

هناك جملة من قوانين الدياليكتيك عند ماركس أهمها :

- الكم يتحول إلى كيف يمعنى أن التغيرات المادية هي التي تصنع الحالات الجديدة مثلا في عالم الظواهر الطبيعية : في الماء مثلا زيادة كمية البرودة وفق درجات معينة تصنع لنا كيفيات وحالات مختلفة للماء كل حالة لها اسمها وكيفها
- كل ظاهرة تحتوي على عناصر متناقضة ، يؤدي تناقضها الى صياغة حالة جديدة للظاهرة نفسها او تغييرها كليا مثلا المجتمع يحتوي على تناقض بين البروليتاريا والطبقة المالكة والتناقض بينهما الذي ينتقل من الوعي الى الثورة يقلب موازين المعادلة لتتحول البروليتاريا الى الحكم والتسيير ويتحول المجتمع من بورجوازي الى بروليتاري .
- الصراع ونفي النفي : يؤدي الصراع دوما إلى نفي الطرف المسيطر وخلق صورة جديدة مثلا نفي البورجوازية التي تنفي وتضطهد الطبقة البروليتارية الكادحة .

الدياليكتيك من الفلسفة إلى الحقول المعرفية الأخرى :

لم يبقى الدياليكتيك حبيس التصورات الفلسفية بل أخذته بعض العلوم والمعارف كمنهج تطبيقي نجده مثلا في :

القانون : حيث تعتبر المحاكمات صورة تطبيقية لمنهج الجدل باعتباها تقوم على المحاججة والمحاورة المؤسسة على حجج كل طرف

السياسة والحكامة : حيث غالبا ما تتسم محاورات السياسيين بالطابع الجدلي واستعمال الحجة للاقناع رغم التشوه الذي يوصف به المجال السياسي .